

# "مرّوا من هنا" لفادي توفيق لكنهم لم يفادروا بعد

هدى  
طه

الشعارات الفئوية التي تحتل المدينة احتلالاً دائماً لا خلاص منه.

تفصح هاتان النقيصتان عن استحالة ان يلعب الفن في مكان كهذا، واستناداً الى وضع هذه صفته، دوراً في إعادة تقويم ما يشذ عن قواعد الاجتماع والسياسة ويجعله في متن العام. بل يبدو ان ما يظهر خلف هذا العرض المثير للجدل، بل أيضاً يبدو الفن حيال هذا الضيق في الحيز العام الذي تشير إليه الشعارات، عاجزاً ومفرداً وغير قابل للانتشار او التحرك خارج المزاج الفردي.

انه عرض قائم وتكاد قاتمته تطفئ على زائره ومتصفحه. فأن يضطر المرء الى ان يجعل الكلام في المدينة مادة للصور لهو امر يبنى بجمود الكلام. وبجمود الكلام يتجمد كل تقدم وتطور وتعديل. وايضاً ان يكون الفن وهو يقول كلاماً عاماً في وجه احياء محتلة، عاجزاً عن التحول بديهياً مثلما يفترض به ان يكون في هذه الحال، فذلك يعني ان المدينة التي يعيش فيها الفنان فقدت بعض اهم مقوماتها التي تخولها ان تكون مدينة وحديثة ومتسامحة.

بعد عرض فادي توفيق بدا لي ان ما كنت افعله في هذه المدينة لم يكن سوى سهو غليظ. لوهلة تنبّهت ان المدينة التي اعبّر شوارعها من غير اكتمرات، مثلما يفترض بالمقيم في مدينة ان يكون، ليست المدينة التي يمكن ان يطمئن المرء إليها. فهذه مدينة ختمت بالشعارات على جدرانها وعلينا ان نختبئ في حجورنا اذا شئنا ان نكون مواطنين. كأنما الشوارع في بيروت اليوم مصابة بفصام اهلي، يسمح للقتلة ان يختاروا ضحاياهم في المنطقة والشارع والحي، ويصيبون ما يريدون اصابته في دقة القناصين ■

يعرض فادي توفيق في هنيغار "امم" تعليقات وصوراً تقول كلاماً مكتوباً على جدران بيروت. فادي توفيق ارتأى، حين اراد ان يصور، تصوير الكلام. الكلام الذي يبدو في جانب منه كما لو انه كتب ليبقى. ايقونات من حروف تتناسل فوق الجدران، بل وتبدو انها علامات على احتلال المكان العام، اي حيث يكون المكان محصوراً بحق السلطات في تعليمه. هكذا تفصح جدران المدينة عن سلطات لا تحصى عدداً، وعن تقاطعات في مجال عمل هذه السلطات الحيوي، قد تكون عمّدت بالدم، أو هي هكذا على الأرجح.

ما يرشح من هذا المعرض ليس قدرة توفيق في التعليق على مجموعة الشعارات التي تريد الإيحاء بسلطتها على المكان العام، وقدرة هذه السلطات في فرض السلوك الذي تراه مناسباً على المارة والأهل والسكان، بل ايضاً هذا الإيحاء المر أن كل كلام او تعليق عام، بالمعنى الذي نعني فيه ان الدولة عامة والطائفة خاصة، لا يستطيع اليوم ان يخرج من حبس الجدران المغلقة.

حتى لو كان المكان الذي يعرض فيه توفيق مفتوحاً للعموم، فثمة في هذا العرض نقيصتان كبيرتان: الأولى ان الكلام العام والمشارك بين اهل المدن عادة والذي يجب ان يحل محل الشعارات التي تشي بضيق المكان العام واستحالاته، يقبع في الزوايا المظلمة ولا يحق له، او لا احد يفكر في تعميمه خارج هذا المكان.

اما الثانية فتتعلق بكون التعليقات التي يضعها توفيق زائلة بمعنى انها مؤقتة وستزال بعد انتهاء المعرض لتبقى في ذاكرتنا او في طيات الكتب، ولن تتحول شيئاً عاماً مثلما هي الحال في موضوع

